كلية التربية
المجلة التربوية
***

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴾

الدّلالات التربويّة للمَعِيّة الإلهيّة في ضوء القرآن الكريم وآثارها التربويّة على الفرد المسلم

إعداد
الباحثة / نادية علي أحمد عسيري
ماجستير قسم التربية–تخصص أصول التربية الإسلامية والعامة
جامعة الملك خالد المملكة العربية السعودية

المجلة التربوية. العدد الرابع والستون . أغسطس ٢٠١٩م
Print:(ISSN 1687-2649) Online:(ISSN 2536-9091)

الملخص:

هدفت الدّراسة إلى بيان مفهوم صفة المَعِيّة الإلهيّة، واستنباط الدّلالات التربويّة من الآيات الدالة عليها من الجانب العقدي والتعبدي والجانب الأخلاقي، وآثارها التربويّة على الفرد والمجتمع، وقد استخدمت الباحثة المنهج الوصفي التحليلي لتجيب عن تساؤلات الدّراسة، وجاءت الدّراسة في خمسة فصول، تضمّنت مفهوم صفة المَعِيّة والدّلالات التربويّة من الجانب العقدي والتعبّدي والأخلاقي، والآثار التربويّة المتعلقة بها، وتوصّلت الدّراسة إلى أن:

١- الدّلالات التربويّة العقديّة لمفهوم المَعِيّة الإلهيّة تحث على الإيمان العميق بمَعِيّة الله.

٢- الدّلالات التربويّة تجمع بين العلم بالله ومعيّته، وبين شتى أنواع العبادات القلبية وعبادات الجوارح.

٣- لمفهوم المَعِيّة الإلهيّة دلالات تُربي في النفس الإنسانية الفضائل الخُلُقية، وتَقيها من الانحرافات لما تبثّه في القلب من مراقبة الله تعالى.

٤- الآثار التربويّة للمَعِيّة الإلهيّة من جميع جوانبها تؤثر في سلوك الفرد والمجتمع وعاداته وقيمه.

وأوصت الدراسة بضرورة قيام المربي بترسيخ الإيمان بِمعيّة خالقه، وتوحِيد الله بأسمائه وصفاته في نفس الطفل وتوجيه عواطفه نَحْو حبّ الله وتقواه، وأكدت على أن يربّي سلوك الناشئ بتعاليم القرآن ومعانيه، ويربي عقله بالاستدلال على ما استدل عليه القرآن، وما يدل على عظمة الله وعلمه ومعيّته.

الكلمات المفتاحية: الدلالة التربوية، المعية الإلهية، الآثار التربوية.

The educational connotations of the divine accompaniment in light of the Holy Quran and their educational effects For the Muslim individual

Abstract: The aim of study is to explain the concept of the divine accompaniment, extracting the educational connotations of the verses that are indicative of the doctrinal, social and moral aspects and their educational effects on the individual and society. The researcher used the analytical descriptive method to answer the study questions, the study had several results:

- **The doctrinal educational connotations of the concept of divine accompaniment urge deep faith in the accompaniment of Allah and combine the knowledge of Allah and His accompaniment, and between the various types of heart and organs' acts of worship.**
- **The concept of the divine accompaniment has connotations that raise the moral virtues in the human soul and protects them from the deviations of what is transmitted in the heart of the control of Allah Almighty.**
- **The educational effects of the divine relationship in all its aspects affect the behavior and habits of the individual and society.**

The recommendations were:

- **The need for the educator to establish faith with his Creator and unify Allah in His names and attributes in the child's soul and direct his emotions towards the love and piety of Allah.**
- **educate the child's behavior with the Quran's commands and its meaning sand enlighten his mind by deducing the evidence of the Qur'an, and indicating the greatness of Allah, His knowledge and His accompaniment.**

Keywords: The educational connotations, the divine accompaniment, the educational effects.

المقدّمة:

لقد أنزل الله سبحانه وتعالى القرآن الكريم منهج حياة ودستور أمة، ونورًا يُهتدى به، فأخرج الناس من الظلمات إلى النور ومن الجهل والضلال إلى العلم والاستقامة، فصحّح العقيدة وبيّن الأنظمة الربانيّة للحياة، وشرع من الدين ما يستقيم به الناس.

وقد أمر الله ﷻ المسلمين كافة بقراءته، وتدبّر آياته والتفكّر بمعانيها والعمل بها، كما نهى عن هجره والابتعاد عنه، فقال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ **محمد: ٢٤.**

ويقول ابن القيم (١٩٩٦، ص:٤٠٥): التأمّل في القرآن هو تحديق ناظر القلب إلى معانيه، وجمع الفكر على تدبّره وتعلّقه، وهو المقصود بإنزاله، لا مجرد تلاوته بلا فهم أو تدبّر.

ويمكن القول: إن القرآن نزل كله للتربية والتوجيه لبناء الأمة الراشدة التي تقوم بمهمة الخلافة في الأرض، ويربّي النفس البشرية من جميع جوانبها، وهو ينظر للحياة الإنسانيّة بأنها المجال الأنسب لعبادة الله تعالى وفق ما شرع، ويعدّها دار عمل واختبار، مَنْ نجح فيها باتباع المنهج القرآني حظي برضا الله تعالى، ونال ثواب جنّته في الآخرة، ولا تستقيم هذه الحياة الدنيا مع الإنسان لتحقيق سعادة الدّارين إلا إذا ربّى الإنسان تربية قرآنيّة إسلاميّة صحيحة. (الباز، ٢٠٠٧، ص: ب)

كما أنه يقوم بترسيخ العقيدة في النفس البشريّة، فالعقيدة الإسلاميّة هي الأساس والمنطق لكل خير وإصلاح تربوي، فهي المرجع لكل سلوك، وهي القوة الدافعة للإصلاح العلمي والتربوي، فالتربية العقديّة هي التي تسمو بالضمير، وترقى بالسلوك والفكر والحسّ والوجدان، على مستوى السلوك الفردي والجماعي. (الغامدي، 1996)

ولهذا تبرز أهمية التربية الصحيحة، فالمسلم لن ينصلح حاله، ولن يكتمل نموه، ولن يرى الثمار الصحيحة لعبوديته لربه عز وجل إلا إذا اهتم بالجوانب الأربعة التي تشكل كينونته، وهي العقل والقلب والنفس والجسد. فلابد لهذه المكونات من تربية وإنماء حتى تكتمل وتصلح ويساهم كل منها بأثره في تنشئة المسلم الصالح المصلح الذي يقوم بوظيفته الأساسية؛ ألا وهي معرفة ربه وعبادته وخشيته بالغيب، وإقامة دينه في نفسه، ثم في نفوس المسلمين، وأن يجتهد في تبليغه للبشر جميعاً.

ويمكننا القول بأن من أهداف التربية هو :إنماء العقل وتوسيع مداركه، وفتح نوافذه، وإكسابه التلقائيّة في التفكير في كل شيء يحدث حوله، والتعرف من خلاله إلى الله ﷻ، فهو محلّ العلم والمعرفة، وبالتالي فإن العلم الحقيقي هو العلم بالله ﷻ، وكيف لا ومن خلاله تتحقّق العبودية الحقّة له سبحانه، لذلك قال بعض المفسرين في قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾**الذاريات:٥٦، "أي: إلا ليعرفون".**

لماذا؟!

لأنهم إذا عرفوه :أحبوه، وعظموه، وهابوه، وأطاعوه، وتوكلوا عليه...

فلكي يدرك المرء حقيقة التوحيد، ويوقن بها فإنه يحتاج إلى التعرّف إلى ربّه من خلال آياته الدالّة عليه، والعلم بأسمائه وصفاته، وأفعاله التي توجب لصاحبها معرفة الله وخشيته. (الهلالي، ٢٠٠٩)

وذكر أشقر (1992)، أن أشرف العلوم الشرعية هو العلم بأسماء الله الحسنى وصفاته العلى لتعلقها بأشرف معلوم وهو الله عز وجل، والقرآن الكريم لا تكاد تخلو آية من آياته من صفة لله أو اسم من أسمائه الحسنى.

ومن هنا تأتي أهميّة دراسة الآيات المتعلّقة بما يجب أن يعتقده العبد في ربه، وبيان معانيها، ومن ذلك ما تعلّق بأسمائه وصفاته، ولهذا فقد عزمت –مستعينةً بالله راجيةً منه التوفيق–على دراسة آيات من كتاب الله –العزيز– تتعلق بصفة من صفات الله ﷻوهي صفة المَعِيّة، وأَسميت هذه الدّراسة: (الدّلالات التربويّة للمَعِيَّة الإلهيّة في ضوء القرآن الكريم وآثارها التربويّة). (الماجد، ٢٠١٢)

مشكلة الدّراسة:

إنّ المتأمل في القرآن الكريم يجد أن مَعِيّة الله تعالى هي من أعظم النعم التي يمنحها الله تعالى لعباده، فهي سعادة وسكينة، وحفظ وهداية، وتكرّرت في آيات كثيرة من القرآن الكريم، بأشكال مختلفة، منها: الصريح ومنها غير الصريح، وقد تعدّدت الدّراسات حول هذه الصفة وبيّنت معانيها وأنواعها وأقوال العلماء حول تفسيرها، بينما ترى الباحثة الحاجة إلى دراستها من الناحية التربويّة، وترجمتها إلى حقيقة واقعية في حياتنا العملية والتربويّة، وانعكاسها على واقعنا الاجتماعي. وستتناول هذه الدّراسة بعض الآيات التي تحدثت عن المَعِيّة، وحسبي أن أتناول جوهر الموضوع ومعالمه القرآنية البارزة، ودلالاته التربويّة.

ومن ثم تحاول الدّراسة الإجابة عن السؤال الرئيس الآتي: ما الدّلالات التربويّة للمَعِيّة الإلهيّة في ضوء القرآن الكريم؟ وما آثارها التربويّة على الفرد المسلم؟

ويتفرّع من هذا التساؤل الرئيسي السابق الأسئلة الفرعيّة التالية:

١- ما مفهوم صفة المَعِيّة الإلهيّة؟

٢- ما الدّلالات التربويّة المستنبطة من آيات المَعِيّة الإلهيّة من الجانب العقدي وآثارها التربويّة على الفرد المسلم؟

٣- ما الدّلالات التربويّة المستنبطة من آيات المَعِيّة الإلهيّة من الجانب التعبّدي وآثارها التربويّة على الفرد المسلم؟

٤- ما الدّلالات التربويّة المستنبطة من آيات المَعِيّة الإلهيّة من الجانب الأخلاقي وآثارها التربويّة على الفرد المسلم؟

أهداف الدّراسة:

هدفت الدّراسة الحالية إلى محاولة التعرّف إلى:

١- بيان مفهوم صفة المَعِيّة الإلهيّة.

٢- الدّلالات التربويّة المستنبطة من آيات المَعِيّة الإلهيّة من الجانب العقدي وآثارها التربويّة على الفرد المسلم.

٣- الدّلالات التربويّة المستنبطة من آيات المَعِيّة الإلهيّة من الجانب التعبّدي وآثارها التربويّة على الفرد المسلم.

٤- الدّلالات التربويّة المستنبطة من آيات المَعِيّة الإلهيّة من الجانب الأخلاقي وآثارها التربويّة على الفرد المسلم.

أهمية الدّراسة:

تبرز أهمية الدّراسة في النقاط الآتية:

١- تستمد هذه الدّراسة أهمّيّتها من أهمية القرآن الكريم الذي يعدّ المصدر الأول للتشريع والفكر التربوي الإسلامي، كما أنه المورد الأول لمعرفة صفات الله العليا وما يجب له من اعتقاد، ومنها صفة المَعِيّة التي دلت عليها الكثير من نصوص القرآن والسنة.

٢- إن معرفة معاني ودلالات صفة المَعِيّة الإلهيّة قد تسهم في توسيع المدارك، وتدبّر آيات القرآن، وترسيخ معنى التعلّق بالله وزيادة العلم به، فالعلم بالله يدعو إلى محبّته ورجائه والتوكّل عليه، وفي هذا فوز العبد وسعادته في الداريْن.

٣- كما تسهم هذه الدّراسة في إبراز الدّلالات التربويّة المستنبطة من آيات القرآن الكريم وزيادة وعي الفرد والمجتمع المسلم، والتأمّل في معاني المَعِيّة وأقسامها ومفهومها التربوي، الذي لم تجد الباحثة بحثًا أو مؤلَّفًا، دَرَس آيات المَعِيّة من الجوانب التربويّة والإنسانية مما يقتضي التطرّق لها ودراستها.

٤- انشغال الناس بمُلهيات الدنيا وتطورات العصر، عن كتاب الله ﷻ ودراسته وتدبّر معانيه والتفكّر في دلالاته، جعل من الضروري التذكير بهذه المعاني حتى نهتدي بها ونصحّح المسيرة ونقوّم السلوك وننهج نهج السلف الصالح.

منهج الدّراسة:

استخدمت الباحثة في هذه الدّراسة المنهج الوصفي التحليلي، الذي يستهدف وصف صفة المَعِيّة الإلهيّة في القرآن الكريم، وتجميع الآيات المتعلّقة بدلالاتها التربويّة، ومن ثم إدراجها تحت الجانب الخاص بها من الجوانب التي ذكرت في تساؤلات الدّراسة، ثم تحليلها وتفسيرها للوصول إلى النتائج المرجوة من دراستها.

حدود الدّراسة:

تقتصر الدّراسة الحالية على موضوع الدّلالات التربويّة لصفة المَعِيّة الإلهيّة، من خلال دراسة بعض الآيات الكريمة التي ذُكرت فيها مَعيّة الله بلفظ صريح أو غير صريح، وذلك بجمعها وتفسير معانيها وتدبّرها، واستقصاء دلالاتها والتمعّن في آثارها التربويّة، ويتمّ بالنظر في كتب التفسير وعلوم القرآن، وكتب عدد من علماء الأمة، كابن القيم، وابن تيمية، وابن عثيمين وغيرهم، كذلك الاستعانة بكتب التربية الإسلامية وأصولها، والعديد من المراجع الإسلامية.

مصطلحات الدّراسة:

الدلالة: لغةً: الدليل: "هو المرشد وما به الإرشاد".

اصطلاحًا: ويعرفها الجرجاني تعريفًا اصطلاحيًّا: "هي كون الشيء بحالة يلزم العلم بها العلم بشيء آخر، والشيء الأول هو الدال، والثاني هو المدلول". (الجرجاني، ١٩٨٣، ص: ١٠٤)

الدلالة التربويّة: هي تحديد مفهوم الاسم أو الصفة مطابقة أو تضمينًا أو لزومًا والاستفادة من هذا المفهوم في تحديد الاتجاه السلوكي للفرد ليقتدي بالمعاني المتضمّنة في أسماء الله وصفاته، وترجمتها إلى قيمة مفيدة وسلوك مرغوب. (الغامدي، ١٩٩٦، ص: ٢٢)

المَعِيّة: معنى لفظ المَعِيّة في اللغة: (مَعَ: لفظ يفيد المصاحبة واجتماع شيئين). (مصطفى وآخرون، (د.ت)، ص:٨٧٦)

المَعِيّة اصطلاحًا: "المَعِيّة تقتضي الإحاطة بالخلق علمًا وقدرةً وسمعًا وبصرًا وسلطانًا وتدبيرًا، وغير ذلك من معاني ربوبيّته إن كانت المَعِيّة عامّة، فإن خصّت بشخص أو وصف اقتضت مع ذلك النصر والتأييد والتوفيق والتسديد". (ابن العثيمين، ٢٠٠١، ص:٩٧).

التعريف الإجرائي للدّلالات التربويّة للمَعِيّة الإلهيّة:

تحديد المعنى أو الإشارة التربويّة لصفة المَعِيّة الإلهيّة، وجمع الدلائل وما ثبت بمعناها في الآيات الكريمة، وهو الإحاطة بالخلق والعلم بهم واطلاعه عليهم، والاستفادة من هذا المفهوم في تقويم الاتجاه والسلوك الإنساني، وترجمتها إلى حقيقة في واقعنا الاجتماعي.

خطة السير في الدراسة: يسير البحث الحالي وفق الخطوات التالية:

١- عرض الدراسات السابقة.

٢- المبحث الأول: مفهوم صفة المَعِيّة وأنواعها وتدبّر آيات المَعِيّة وتفسير العلماء لها.

٣- المبحث الثاني: الدّلالات التربويّة المستنبطة من آيات المَعِيّة الإلهيّة من الجانب العقدي وآثارها التربويّة على الفرد المسلم.

٤- المبحث الثالث: الدّلالات التربويّة المستنبطة من آيات المَعِيّة الإلهيّة من الجانب التعبّدي وآثارها التربويّة على الفرد المسلم.

٥- المبحث الرابع: الدّلالات التربويّة المستنبطة من آيات المَعِيّة الإلهيّة من الجانب الأخلاقي وآثارها التربويّة على الفرد المسلم.

وفيما يلي عرض لهذه العناصر:

الدّراسات السّابقة:

إن مسألة استعراض الدراسات السابقة المرتبطة بموضوع الدراسة أتاح للباحثة التعرف على الأدوات التي تم استخدمها والمناهج العلمية التي تم تطبيقها في الدراسات السابقة، وفيما يلي عرض للدراسات السابقة ذات الصلة بموضوع البحث الحالي:

١- **دراسة عوض** (2009) **بعنوان:** "الدّلالات التربويّة لمفهوم التقوى في القرآن الكريم". **هدفت الدّراسة إلى التعرف إلى الدّلالات التربويّة للتقوى وأثرها على الإنسان المسلم من خلال استخراج الدّلالات التربويّة لها في المجال العقدي والتعبّدي والسلوكي، والجهادي، وقد استخدم الباحث المنهج الوصفي التحليلي، وتوصلت الدّراسة إلى نتائج، من أبرزها: وجود دلالات تربويّة لمفهوم التقوى في المجال الإيماني، وفي المجال الأخلاقي، وقد أوصت الدّراسة بما يأتي: اعتماد التقوى هدفًا ساميًا لتحقيق سلوك أفضل للمسلم في حياته اليوميّة، عقد دورات تربويّة للوُعّاظ والخطباء والمدرّسين والمربّين في دراسة كيفية تطبيق سلوكيات التقوى في حياتنا المختلفة.**

٢- **دراسة الغامدي** (2009) **بعنوان:** "الدّلالات التربويّة المستنبَطة من آيات الصبر في القرآن الكريم وتطبيقاتها في الأسرة والمدرسة". **هدفت الدّراسة إلى التعرف إلى الدّلالات التربويّة التي تحملها آيات الصبر في الجانب العقدي، والتعبّدي والأخلاقي. وتطبيقاتها التربويّة في الأسرة والمدرسة، والآثار الناتجة عن تطبيقها، واستخدم الباحث في دراسته المنهج الاستنباطي، ومن أهم النتائج: إن منهج القرآن الكريم في التربية هو المنهج الأمثل والنموذج الأفضل، والعقيدة الإسلامية راحة للنفس، وطمأنينة للقلب، وقد أوصت الدّراسة المؤسسات التربويّة أن تعمل على إيجاد برنامج تربوي منظّم في شكل مادة دراسيّة أو نشاط تربوي منظّم يتضمّن توضيح فضائل الإسلام وكيفية تنميتها وتوظيفها في الحياة. يجب على المعلم أن يتقي الله تعالى فيما وُكّل إليه، وألا ييأس من الإصلاح ولا يستعجل نتائج جهوده في تربية النشء تربية إسلامية.**

٣- **دراسة أبو غوري** (2010) **بعنوان:** "الدّلالات التربويّة لمفهوم العبودية في القرآن الكريم". هدفت الدّراسة لمعرفة الدّلالات التربويّة المستفادة من العبودية، وأثرها على المسلم، وذلك من خلال استخراج دلالات في المجالات العقديّة، العباديّة، الأخلاقيّة، العلميّة، الجهاديّة، ثم التطبيقات التربويّة لهذه المجالات على الوسائط التربويّة، كالأسرة، المسجد، المدرسة، وسائل الإعلام، المجتمع المسلم، وقد اعتمد الباحث في دراسته أسلوب تحليل المحتوى من الناحية الكيفيّة كأحد مداخل وتقنيات المنهج الوصفي. وتوصّلت الدّراسة إلى أن لتحديد مفهوم العبودية دلالات تربوية في المجال العقدي، تحث المسلم على الالتزام بتوحيد الله، وأن يُترجَم إلى أقوال وأفعال، وقد أوصت الدّراسة بالحثّ على ترسيخ مفهوم العبودية لله تعالى بمفهومها الشامل.

٤- **دراسة الماجد** (2012) **بعنوان:** "المَعِيّة الإلهيّة في ضوء القرآن الكريم.. معانيها ودلالاتها". يهدف الباحث إلى دراسة الآيات المتعلقة بأسمائه ﷻ وصفاته، ودراسة آيات من كتاب الله –العزيز– تتعلّق بصفة من صفات الله وهي صفة المَعِيّة والنظر في معانيها، والدّلالة الموضوعية التي احتفت بها، وبيان الانحراف المنهجي في تفسيرها عند الطوائف المختلفة، وقد استخدم الباحث المنهج الوصفي التحليلي، فقد خَلُصت هذه الدّراسة إلى عدد من النتائج، منها: أجمع المفسّرون على تفسير المَعِيّة الإلهيّة العامة بالعلم والقدرة، كما فسّروا المَعِيّة الخاصة بالنصرة والحفظ والإعانة، وأن مذاهب الطوائف المنتسِبة إلى الإسلام قد اختلفت في بيان معنى حقيقة مَعِيّة الله تعالى لخلقه، وقد أوصت بدراسة الآيات التي تتعلق بجوانب الاعتقاد دراسة تفسيرية تنطلق من آيات القرآن الكريم، تكشف عن معانيها ودلالاتها وتجليها للناس، فإن ذلك أَسَدُّ الطرق لبيانا لعقيدة، وأنهج السبل لتعميقها في النفوس، وربط الناس بكتاب ربهم.

٥- **دراسة قاسم** (2016) **بعنوان:** "معية الله تعالى في القرآن الكريم". هدفت الدراسة إلى إبراز تعلق البحث بآيات القران الكريم التي تحدثت عن المعية، وذكر أنواع المعية كما وردت في آيات القرآن الكريم، بيان أن هناك معية لله مع الرسل والأنبياء، ومعية الله الأولياء والصالحين، ومعية الله مع الناس، وقد استخدم الباحث المنهج التحليلي الذي يعتبر آلة تفسيرية، وقد خلصت إلى عدة نتائج أهمها: أن معية الله تعالى منحة منه – عز وجل – لعباده الصالحين، وارتباط عطاء المعية لمن هم على الصراط المستقيم، وأن المعية من

أعظم ثمرات الإيمان، وهي حماية ورضا من الله تعالى في الدنيا وفوز ونعيم في الآخرة. وأوصت الدراسة بغرس حسن التوكل على الله تعالي في قلوب طلاب المدارس في المراحل التعليمية المختلفة، وأن يعلم الرجل أفراد أسرته أن من كان مع الله تعالى كان الله معه، يعلم العلماء في المساجد معية الله للناس عامة.

التعليق على الدّراسات السابقة:

بالنظر إلى الدّراسات السابقة، نلاحظ أن دراسة الماجد (2012) وقاسم (2016) تحدّثت بالعموم عن المَعِيّة الإلهيّة وأنواعها وأقوال العلماء فيها، أما بقية الدّراسات احتوى مضمونها على الدّلالات التربويّة لعدة مفاهيم في ضوء آيات القرآن الكريم، مثل: دراسة عوض (2009) تضمنت مفهوم التقوى، ودراسة الغامدي (2009) مفهوم الصبر، أما أبو غوري (2010) فقد هدفت دراسته لمعرفة الدّلالات التربويّة المستفادة من العبودية وأثرها على المسلم.

أوجه التشابه: تتشابه الدراسات السابقة مع الدّراسة الحالية بصفة عامة في تناولها لموضوع الدّلالات التربويّة المستنبَطة من آيات القرآن الكريم، ومفهوم المَعِيّة الإلهيّة، كما تتشابه في استخدام المنهج الوصفي التحليلي، ونتائجها التي تركز على أهمية التربية في المنهج الرباني في القرآن الكريم، والاستفادة من الدّلالات التربويّة وترسيخ تلك القيم لبناء المجتمع المسلم.

بينما تميّزت هذه الدّراسة بالتركيز على صفة المَعِيّة الإلهيّة خاصة في ضوء القرآن الكريم، واستنباط دلالاتها التربويّة ومن عدة جوانب: العقدي والتعبّدي والأخلاقي، وترسيخ العمق الإيماني والروحي لدى المسلم، كما تميّزت بالاهتمام بتربية النشء تربية إيمانيّة على المنهج القويم حتى يجني سعادة الدارَيْن، وقد استفادت الدّراسة الحالية من الدراسات السابقة في الإطار العام لها، كذلك النتائج والتوصيات التي توصلت إليها تلك الدراسات.

المبحث الاول: مفهوم صفة المَعِيّة وأنواعها وتدبّر آيات المَعِيّة وتفسير العلماء لها.

أقسم الله تعالى بالقرآن، ووصفه بأنه "مجيد"، وأنه "ذو الذِّكر"، فهو الذي يُتذكر به العلوم الإلهيّة والأخلاق الجميلة والأعمال الصالحة، ويتعظ به من يخشى.

وقال تعالى: ﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ **ص:٢٩، فأمرنا سبحانه بتدبّره والتفكر فيه، والاستنباط لعلومه، وما ذاك إلا لأن تدبّره مفتاح كل خير، محصّل للعلوم والأسرار. (السعدي، ٢٠٠٢، ص:١/١٩)**

فتدبّر القرآن إن رُمْتَ الهدى فالعِلْم تحت تدبّر القرآن

(ابن القيم، ٢٠٠٧، ص٣١٥)

وكما نعلم أن القرآن أُنزِل بلسان عربيٍّ مبين؛ قال تعالى: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ **يوسف:٢، لكي تعقلوا، فكان لزامًا علينا أمة محمد أن نتعلّم هذا الكتاب العظيم ونستنبط معانيه ودلالاته لكي تكون منهجًا ونبراسًا نستنير به.**

وقد أمرنا النبي ﷺ أن نسأل الله علمًا نافعًا، ونتعوّذ به من علم لا ينفع، فقال فيما رواه عنه جابر بن عبدالله ﷺ: "سلوا الله علمًا نافعًا، وتعوّذوا بالله من علم لا ينفع" حديث حسن، رواه ابن أبي شيبه في (المصنّف).

ومن أنفع العلوم علم التوحيد، ومنه علم الأسماء والصفات، وذلك لأن (شرف العلم بشرف المعلوم، والباري أشرف المعلومات؛ فالعلم بأسمائه وصفاته أشرف العلوم). (السَّقَّاف، ٢٠٠٦، ص:١٠)

ولتحقيق ذلك جاءت هذه الدّراسة التي تسعى للاستزادة من العلم النافع والعلم بالله، وذلك بالتعرّف إلى إحدى صفات الرب ﷻ وهي صفة المَعِيّة، في ضوء كتاب الله العزيز، حيث تعدد ذكرها في آيات كثيرة لتفيد مَعِيّته تعالى لملائكته، أو صفوة خلقه من أنبيائه وأوليائه ولكل من حرص على الوصول لأسبابها لينال وينهل من ثمراتها في الدنيا والآخرة.

مفهوم صفة المَعيّة وأنواعها:

المَعِيّة لغةً:"(مَعَ): لَفْظَة تفيد المصاحبة واجتماع شَيْئين، وَهِي اسْم على الْمُخْتَار وَإِسْكان عينها لُغَة لبني ربيعَة وَتمِيم". (مصطفى وآخرون، (د.ت)، ص:٨٧٦)

المَعِيّة اصطلاحًا: "المَعِيّة تقتضي الإحاطة بالخلق علمًا وقدرةً وسمعًا وبصرًا وسلطانًا وتدبيرًا، وغير ذلك من معاني ربوبيته". (العُثيمين، ٢٠٠١، ص:٩٧)

أنواع صفة المَعيّة في القرآن الكريم:

مَعِيَّة الله تعالى لعبده نوعان: عامّة وخاصة، وقد اشتمل القرآن على النوعين:

أولًا: المَعيّة العامّة.

ويراد بها: علم الله التام بجميع خلقه، واطّلاعه عليهم سمعًا وبصرًا، وإحاطته بهم وقدرته عليهم. ولأنها تشمل الخلق جميعًا _مؤمنهم وكافرهم، وبَرّهم وفاجرهم_ سُميت مَعِيّة عامة، مثل قوله تعالى:﴿ **أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۚ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ** ﴾المجادلة:7. (الماجد،2012، ص٢٥)

فالله ﷻ قد افتتح الآية بالعلم وختمَها بالعلم، ولذلك أجمع علماء الصحابة والتابعون على أن تفسير الآية هو أنه معهم بعلمه، مطّلع عليهم يسمع كلامهم وسرّهم ونجواهم ورسله أيضًا، مع ذلك تكتب ما يتناجون به، وقد نقل هذا الإجماع ابن عبد البر، وأبو عمرو الطلمنكي، وابن تيمية، وابن القيم، وعلى هذا فلا حجة للمخالفين في ظاهر هذه الآية.

وكذلك أيضًا ما جاء في قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ۚ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ **الحديد: 4. فظاهر الآية دالّ على أن المراد بهذه المَعِيّة هو علم الله تبارك وتعالى واطلاعه على خلقه، فقد أخبر الله تعالى في هذه الآية بأنه فوق العرش يعلم كلّ شيء، وهو معنا أينما كنّا، فجمع تعالى في هذه الآية بين العلو والمَعِيّة، فليس بين الاثنين تناقض البتّة، وهو كقوله ﷺ في حديث الأوعال: "والله فوق العرش يعلم ما أنتم عليه" أخرجه أبو داود والترمذي زابن ماجه. (التميمي، 2002، ص ص :٦٥-٦٦)**

وهنا تتّضح الدلالة التربويّة: بأنه عندما يتيقَّن العبد أن الله مع إحاطته ومعيّته لخلقه، فهو المالِك لكل شيء ولا شيء يخرج عن قبضته، فهذا الشعور يحرس القلب من كلِّ لفتة لغير الله في أي أمر، ويحميه من التطلُّع لغير الله ويقيمه على الطريق إلى الله في سرِّه وعلنه، وهو يعلم ألاَّ مهرب من الله إلا إليه، وإذا ضاقت به الدُّروب، وتخلَّي عنه القريب والبعيد، فيتذكّر أن الله معه فتطيب نفسُه، وينشرح صدرُه. (قطب، 1982، ص:٣٤٨١)

ثانيًا: المَعِيّة الخاصة.

وهي قدر زائد على معنى المَعِيّة العامة، إذ تدل على معنى النصرة والحفظ والتأييد والتوفيق، ونحو ذلك من المعاني المناسبة للسياق الذي وردت فيه.

وهذه المَعِيّة تكون لمن ذُكرت له، وهي التي اختص الله بها أولياءه وأحبابه من الأنبياء والمرسلين والصالحين وملائكته المقربين، ولهذا سُميت معية خاصة، مثل قوله تعالى:﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ وَاصْبِرُوا ۚ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾**الأنفال:٤٦، أي بالمعونة والنُّصرة والتأييد. (الماجد،2012، ص:٢٥)**

ولما قال النبي ﷺ لصاحبه في الغار:﴿إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ **التوبة:٤٠. "كما روى الإمام أحمد عن أنس؛ أن أبا بكر حدّثه قال: قلت للنبي ﷺ ونحن في الغار: لو أن أحدهم نظر إلى قدميه لأبصرنا تحت قدميه فقال: "يا أبا بكر: ما ظنك باثنين الله ثالثهما؟" أخرجه البخاري ومسلم والترمذي. (جماعة العلماء، 1999، ص:٤٥٤)**

ثم ماذا كانت العاقبة، والقوة الماديّة كلها في جانب، والرسول ﷺمع صاحبه كان مجرّدًا منها؟ وكان النصر المؤزّر من عند الله بجنود لم يرَها الناس، وكانت الهزيمة للذين كفروا والذل والصَّغار. وهنا ترشد الآية إلى إحدى الدّلالات التربويّة ألا وهي: وجوب نصرة رسول الله في دينه وفي أمته وفي سُنّته. (الباز، 2007، ص:٥٧٩)

تدبّر آيات المَعِيّة في القرآن الكريم وتفسير العلماء لها.

لقد ورد لفظ المَعِيّة ومشتقاتها في مواطن كثيرة، منها اللفظ الصريح ومنها غير الصريح، وسأذكر بعضًا منها على سبيل المثال لا الحصر والتركيز على الألفاظ والدّلالات المرادة في البحث.

١- فجاءت مرة تفيد مَعِيّة الله لملائكته: ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا ۚ ﴾ الأنفال:١٢، وهذه نعمة خفيّة أظهرها الله تعالى لهم ليشكروه عليها، وهو أنه تعالى وتقدّس وتبارك وتمجّد، أوحى إلى الملائكة الذين أنزلهم لنصر نبيّه ودينه وحزبه المؤمنين، يوحي إليهم فيما بينه وبينهم أن يثبّتوا الذين آمنوا وإلقاء الرعب في قلوب الذين كفروا. (جماعة من العلماء،1999، ص:٤٢٢/١)

ودلالة الآية التربويّة: أن الله تعالى جنودًا لا يعلمها إلا هو، والنصر بيده وحده؛ فعلى الدعاة أن يكونوا مع الله بإيمانهم وعملهم وثقتهم به، ليكون معهم يؤيّدهم بنصره ويعزّهم بعزّته. (الباز، 2007، ص:٥٣٤)

٢- وذُكرت معِيّته سبحانه في كتابه الكريم لرسوله ﷺ بلفظ صريح مع صاحبه أبي بكر ﷺ، عندما كانا في الغار كما أسلفنا في المبحث السابق، وكذلك ذكرت بلفظ غير صريح في قوله تعالى:﴿وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ۖ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ﴾الطور:٤٨،أي اصبر على أذاهم ولا تبالِ لهم فإنك بمرأى منا وتحت كلاءتنا، والله يعصمك من الناس. (مرجع سابق، 1999، ص:١٠٤٩/٢)

وتكمن الدلالة التربويّة في هذه الآية في إكرام الله تعالى لنبيّه ووضعه في أعلى مكانة، حيث قال له: "فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا"، كذلك ما يساعد على القرب من الله تسبيحه في جميع الأحوال ودوام ذكره وتلاوة القرآن والصلاة. (مرجع سابق،2007، ص:٣٤٩)

٣- ومرتان تفيدان معيته سبحانه لموسى وهارون عليهما السلام، إحداهما قوله تعالى: ﴿قَالَ لَا تَخَافَا ۖ إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾سورة طه:٤٦،"إِنَّنِي مَعَكُمَا".. إنّه القوي الجبار الكبير المتعال، إنه الله القاهر فوق عباده، إنه مُوجِد الأكوان بقوله: كن، ولا زيادة.. إنه معهما.. وكان هذا الإجمال يكفي. ولكنّه يزيدهما طمأنينة: "أَسْمَعُ وَأَرَى"، فما يكون في فرعون وما يملك وما يصنع حين يفرط أو يطغى؟ والله معهما أن يسمع ويرى؟ (قطب، 1982، ص:٢٣٣٧)

٤- وآيات تفيد مَعِيّته سبحانه لنبيّه موسى عليه السلام ﴿قَالَ كَلَّا ۖ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ الشعراء:٦٢، قال كلّا في شدّة وتوكيد، كلّا لن نكون مدركين، كلّا لن نكون هالكين، كلّا لن نكون مفتونين، كلّا لن نكون ضائعين، كلّا إنّ معي ربي سيهدين، بهذا الجزم والتأكيد واليقين، إنها ثقة الداعية بربّه أكبر، واليقين بربه آتٍ، والنجاة كائنة بمعجزة ربانيّة. (مرجع سابق، 1982، ص:٢٥٩٨)

فما أحوجنا إلى مثل هذا الإيمان الراسخ الذي ينبئ عن ثقة بالله وتفاؤل بالمستقبل، فكيف يكون تعلّقنا بالأسباب المحيطة أقوى من حسن ظنّنا بالله؟ مادام الله معنا فلا خوف ولا حزن، مادام الله معنا فلا ضرر ولا ضعف، مادام الله معنا فهي عزة وقوة ويقين وتسليم.

٥- ونتأمل قوله تعالى: ﴿أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّي وَعَدُوٌّ لَّهُ ۚ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي﴾ طه ٣٩، أي: لتتربى على نظري وفي حفظي وكلاءتي.

إن موسى ذاهب لمواجهة أقوى ملك في الأرض وأطغى جبار، إنه ذاهب إلى خضم من الأحداث والمشاكل مع فرعون أول الأمر، ثم مع قومه وقد أذلهم الاستبعاد الطويل، وربه يطلعه على أنه لن يذهب غفلاً من التهيؤ والاستعداد، وأنه لم يرسل إلا بعد التهيئة والإعداد، وأنه صنع على عين الله من زمان، ودرب على الميثاق وهو طفل رضيع، ورافقته العناية وسهرت عليه وهو صغير ضعيف، وكان تحت سلطان فرعون وفي متناوله وهو مجرد من كل عدة، ومن كل قوة فلم تمتد إليه يد فرعون؛ لأن يد القدرة كانت تسنده وعين القدرة كانت ترعاه في كل خطاه، فلا عليه اليوم من فرعون، وقد بلغ أشده وربه معه، قد اصطنعه لنفسه، واستخلصه واصطفاه. (الباز، (2007م)، ص٣٢٣-٣٢٤).

٦- هذه الآية تفيد معيته تعالى لعباده المتقين والمحسنين في قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴾النحل:١٢٨

أي معهم بتأييده ونصره ومعونته وهديه وسعيه، وهذه معنى خاصة، ومعنى "والذين اتقوا" أي تركوا المحرمات، "والذين هم محسنون" أي فعلوا الطاعات، فهؤلاء الله يحفظهم ويكلؤهم بنصره ويؤيدهم ويظفرهم على أعدائهم ومخالفيهم. (جماعة من العلماء، (1999م)، ص٢/٥٩٤).

ويوصي القرآن الرسول صلى الله عليه وسلم وهي وصية لكل داعية من بعده، ألّا يأخذه الحزن إذا رأى النّاس لا يهتدون، فإنما عليه واجبه يؤديه، والهدى والضلال بيد الله، وألّا يضيق صدره بمكرهم فإنما هو داعية إلى الله، فالله حافظه من المكر والكيد، ولقد يقع به الأذى لامتحان صبره، ويبطئ عليه النصر لإبتلاء ثقته بربه، ولكن العاقبة مضمونة ومعروفة " إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ " ومن كان الله معه فلا عليه ممن يكيدون ومما يمكرون.

هذا هو دستور الدعوة إلى الله كما رسمه الله، والنصر مرهون باتباعه كما وعد الله ومن أصدق من الله؟ (قطب، (1982م)، ص٢٢٠٣).

٧- وآية تفيد مَعِيّته لعباده المجاهدين: قال تعالى: ﴿فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ﴾ محمد:٣٥، لننظر كيف كان القرآن يأخذ النفوس ويعالج الخواطر الفطريّة، فنحن بحاجة إلى تحرّي خطوات القرآن في التربية. فلماذا الضعف؟ وأنتم الأعلون فلا تهنوا وتدعوا إلى السلم، أنتم الأعلون اعتقادًا وتصوّرًا للحياة، وأنتم الأعلون ارتباطًا وصِلَة بالعليّ الأعلى، وأنتم الأعلون منهجًا وهدفًا وغاية، وأنتم الأعلون شعورًا وخلقًا وسلوكًا، ثم أنتم الأعلون قوة ومكانًا ونصرة، فمعكم القوة الكبرى، إنكم في صحبة العليّ الجبار القادر القهّار، فكيف يكون أعداؤكم هؤلاء والله معكم؟ وكل ما تبذلون وكل ما تفعلون، وكل ما يصيبكم من تضحيات محسوب لكم، لا يضيع منه شيء عليكم، وأعمالكم لن يقطع منها شيء ولا يصل إليكم أثره ونتيجته وجزاؤه. (مرجع سابق،2007، ص ص:٣٠٣-٣٠٤)

إنّه من خلال تدبّرنا لمعاني ودلالات المَعِيّة الإلهيّة التي تضمنتها الآيات السابقة وغيرها، يأتي تفصيلها في المباحث اللاحقة، نصل إلى نتيجة اليقين وثمرة الإيمان بمَعِيّة الخالق ﷻ وهي سكينة الله تنزل على قلب المؤمن، وتجعل كل ضعف قوةً وتحوّل كل خوف أمنًا، وأيضًا من ثمراتها أن الكافرين مهما قويت كلمتهم واجتمع عليها الناس، فإنه سبحانه يجعلها السفلى وكلمته هي العليا دائمًا وأبدًا، فهي وعد الله لمن كان مع الله، فكيف لا يشعر بالعزة من كان العزيز الحكيم معه؟ كيف لا يحسّ بالمنعة من كان القاهر الغالب معه؟ كيف لا ينصر من كان بيده النصر؟! (عويد،1997، ص ص:٥٤-٥٥)

المبحث الثاني: الدّلالات التربويّة المستنبطة من آيات المَعِيّة الإلهيّة من الجانب العقدي وآثارها التربويّة على الفرد والمجتمع:

إنّ الإسلام يسعى لتكوين الشخصيّة الإسلاميّة المتكاملة في جميع مجالات الحياة، وخاصة المتعلّقة بالجانب العقدي الإيماني على الوجه الذي يحبّه الله تعالى ويرضاه، فالعقيدة الإسلامية نظام الحياة، وقد أسّس الإسلام الصحابة في العهد المكّي على العقيدة الإسلاميّة المتينة. (أبو غوري،2010، ص:٣٣)

ولقد كانت الدّعوة إلى هذه العقيدة، أول شيء قام به رسول الله ﷺ لتكون حجر الزاوية في بناء الأمة المسلمة، فالعقيدة الإسلاميّة هي الموجّه للسلوك الإنساني؛ فالجوارح تترجم ما

يعتقد أصحابها من عقائد؛ فإن كانت العقيدة من منبع صافٍ، ومورد عذب ظهر ذلك جليًّا في سلوك الفرد والمجتمع.

وإن النفس البشرية فُطِرت للاعتقاد والإيمان بأي فكرة سواء كانت صحيحة أو خاطئة، لذلك سنعرف أوّلًا معنى العقيدة، وما يتبعها من إيمان وعمل، حتى نصل إلى تربية هذا الجانب العَقَدي من خلال صفات الله ﷻ_صفة المَعِيّة_. (عطار، (د.ت)، ص:٣٢١)

تعرّف العقيدة بصفة عامة بأنها مجموعة "الأفكار التي يؤمن بها الإنسان، ويصدر عنها في تصرفاته وسلوكه". (النحلاوي،2008، ص:٦٥)

ويبرز أثرها بوصفها القاعدة الأساسية من قواعد التربية في الإسلام، وبالتالي فالتربية المطلوبة _لإقامة هذه القاعدة الإسلامية_ تهدف إلى إخراج نماذج فذه، لا مجرد إخراج مسلمين عاديين، نماذج تكون كالأعمدة الراسية في البناء، لتحمل ثقل البناء فيما بعد.

وهذا يحتاج أولاً: إلى عقيدة صافية لا غبش فيها ولا بدع ولا انحرافات، كعقيدة السلف الأول، خرجت بها عن عقيدة التوحيد الخالصة الصافية، وكادت تردها وثنية جاهلية.

ويحتاج ثانياً: إلى إدراك واعٍ لمقتضيات هذه العقيدة، أي كل التكاليف وكل التوجيهات التي جاءت في كتاب الله ﷻ وسنة رسوله ﷺ.

ويحتاج ثالثاً: إلى تربية تحول هذه العقيدة إلى حقيقة سلوكية قائمة في عالم الواقع، وهذه التربية تحتاج إلى ترسيخ معاني المعية الالهية وتعميقها حتى تصبح يقيناً قلبياً ينبني عليه سلوك واقعي، يقيناً لا يزلزله الابتلاء والشدة، ولا يزلزله الرخاء والسعة. (فريد، 2009، ص:٢٥)

١-الدّلالات التربويّة المستنبطة من آيات المَعِيّة الإلهيّة من الجانب العقدي.

وتشتمل على: دلالة الإيمان، دلالة التوحيد، دلالة التقوى والآثار التربويّة المتعلقة بالدّلالات العقديّة وفيما يلي عرض لهذه العناصر:

أولًا: دلالة الإيمان:

إنّ النفس البشريّة فُطرت على الإيمان بوجود الله ﷻ، لقوله: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَا﴾ **الأعراف:١٧٢، فالإنسان كبيرًا كان أم صغيرًا، متعلّمًا أم جاهلًا، غنيًّا أم فقيرًا، مسلمًا أم مُلحدًا بحسب فطرته مؤمن بأنه لا إله إلا الله.**

والأصل الجامع للعقيدة والشريعة معًا، والإطار العام الذي يضمهما هو الإيمان الراسخ بكلّ ما ورد في صريح القرآن الكريم وصحيح السنة. (عطار، (د.ت))

والقرآن عندما يدعو إلى الإيمان بمعتقدات معيّنة، يلجأ إلى العقل، فيرشده إلى ما يجب أن يؤمن به، كما يقول ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ﴾النساء: ١٣٦، فالإيمان بالله يتضمّن: الإيمان بصفاته، والإيمان بالكتاب الذي نزل على رسوله ﷺيتضمّن: الإيمان بكل ما جاء فيه من صفات الله، وكون محمد ﷺرسوله يتضمّن: الإيمان بكل ما أخبر به عن مرسِله، وهو الله عز وجل. (ابن عثيمين، 2001، ص:٢٢)

وقد ذكر القرآن صفات الله ومَعِيّته في مواضع عديدة، وتقديسه عن النقائص، قال تعالى: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ الأنفال:١٩، وذكر السعدي (٢٠٠٢): من كان الله معه، فهو المنصور القوي وإن كان ضعيفًا قليلًا عدده، وهذه المَعِيّة التي أخبر الله أنه يؤيّد بها المؤمنين، تكون بحسب ما قاموا به من أعمال الإيمان.

ومن هنا نستنتج الدلالة التربويّة مما قاله الأستاذ عبد الله ناصح علوان: "وهذا النمط من التربية والمراقبة قد وجّه إليه المربي الأول ﷺ في إجابته السائل عن الإحسان: "أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك" رواه البخاري ومسلم.

وهذه الظاهرة من الترويض والتعليم كانت ديدن السلف الصالح في ترويضهم لأبنائهم وتأديبهم، وإليكم ما قصّه الإمام الغزالي في إحيائه: "قال سهل بن عبد الله التستري: كنت أنا ابن ثلاث سنين أقوم بالليل فأنظر إلى صلاة خالي محمد بن سوار، فقال لي يومًا: ألا تذكر الله الذي خلقك؟ فقلت: كيف أذكره؟ قال: قل بقلبك عند تقلّبك في فراشك ثلاث مرات من غير أن تحرّك به لسانك: الله معي، الله ناظر إليّ، الله شاهدي، فقلت ذلك ليالي ثم أعلمته...فلم أزل على ذلك سنين، فوجدت لذلك حلاوة في سرّي، ثم قال لي خالي يومًا: يا سهل من كان الله معه وناظرًا إليه وشاهده أيعصيه؟ إياك والمعصية.

وبهذا التوجيه السّديد والترويض المستمر والتربية الإيمانيّة الحقّة، أصبح سهل –رحمه الله–من كبار العارفين ومن رجال الله الصالحين بفضل خاله الذي أدّبه وعلّمه وربّاه، وغرس في نفسه وهو صغير أكرم معاني الإيمان والمراقبة وأنبل مكارم الأخلاق. (علوان (د.ت) ص ص:١٦٠-١٦١)

وبالتالي فالمؤمن الصادق يستشف نور هداه من نور الله تعالى، وأسماء الله وصفاته كلها أنوار يهتدي بها الحيارى إلى سعادة الدارين، فالإيمان العميق بأن كل ما يليق بالله من صفات عليا فهي محكمة لا محل للتشابه فيها على الإطلاق، والتأدب بدلالات صفات الله _كصفة المعية الالهية_ خير معين على الطريق، لا سيما عصرنا الذي اشتبهت فيه القيم النبيلة بغيرها. (محمد، (2011).

ثانيًا: دلالة التوحيد:

يطلق على العقيدة الإسلامية عقيدة التوحيد، ويسمى الدّين الإسلامي الحنيف بدين التوحيد، ويوصف المسلمون بالموحّدين، وذلك لأن هذه العقيدة تقوم على توحيد الله ﷻ، وذلك بالتصديق الجازم بأن الله واحد لا شريك له، وإفراده في الربوبية والألوهية وفي الأسماء والصفات. (أبو لاوي، 1999، ص:٨١)

فالمتأمّل لآيات القرآن الكريم يجدها تعيد وتؤكد في شأن العقيدة والتوحيد، تبيّنها وتدعو إليها، محذّرة من ضدّها في آيات كثيرة وبطرق متنوعة وأساليب مختلفة.

وللتوحيد ثلاثة أنواع: توحيد الربوبيّة، وتوحيد الألوهيّة، وتوحيد الأسماء والصفات، وتركّز هذه الدّراسة على توحيد الأسماء والصفات بوجه عام، وصفة المَعِيّة الإلهيّة بوجه خاص.

فتوحيد الأسماء والصفات هو الاعتقاد الجازم بأن الله هو المنفرد بالكمال المطلق من جميع الوجوه، وذلك بإثبات ما أثبته الله لنفسه، أو أثبته له رسوله ﷺ من جميع الأسماء والصفات، كصفة المَعِيّة ومعانيها وأحكامها الواردة في الكتاب والسنة على الوجه اللائق بعظمته وجلاله من غير نفي لشيء منها، ولا تعطيل، ولا تحريف، ولا تمثيل، ولا تكييف. ونفي ما نفاه عن نفسه، أو نفاه عنه رسوله ﷺ من النقائص والعيوب، وعن كل ما ينافي كماله. (القحطاني، 2008، ص:٥٣٠)

وتوحيد المَعِيّة الإلهيّة والإقرار بها له فضائل عظيمة، وآثار حميدة، ومن ذلك ما يأتي:

١- خيري الدنيا والآخرة، هو السبب الأعظم لتفريج كربات الدنيا والآخرة، يدفع الله به العقوبات في الدارين، ويبسط به النعم والخيرات.

٢- التوحيد الخالص يثمر الأمن التام في الدنيا والآخرة، قال الله تعالى : ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ**﴾ الأنعام:٨٢**

٣- وهو السبب الأعظم في نيل رضا الله وثوابه، يسهِّل على العبد فعل الخيرات، وترك المنكرات، ويسلِّيه عن المصائب، فالموحد المخلص لله في توحيده تخفُّ عليه الطاعات؛ لما يرجو من ثواب ربه ورضوانه، ويهوِّن عليه ترك ما تهواه النفس من المعاصي؛ لما يخشى من سخط الله وعقابه.

٤- الاعتقاد الجازم بمعية الخالق إذا كمل في القلب حبّب الله لصاحبه الإيمان، وزينه في قلبه، وكرَّه إليه الكفر والفسوق والعصيان، وجعله من الراشدين.

٥- كذلك يخفف عن العبد المكاره، ويهوِّن عليه الآلام، فبحسب كمال الاعتقاد في قلب العبد يتلقّى المكاره والآلام بقلب منشرح ونفس مطمئنة، وتسليمٍ ورضا بأقدار الله المؤلمة، وهو من أعظم أ سباب انشراح الصدر.

٦- يحرِّر العبد من رقِّ المخلوقين والتعلُّق بهم، وخوفهم ورجائهم، والعمل لأجلهم، ويعلم أن الله معه وهذا هو العزُّ الحقيقي، والشرف العالي، ويكون مع ذلك متعبِّدا لله لا يرجو سواه، ولا يخشى إلا إياه، وبذلك يتمُّ فلاحه، ويتحقّق نجاحه.

٧- تكفَّل الله للموحدين بالفتح، والنصر في الدنيا، والعز والشرف، وحصول الهداية، والتيسير لليسرى، وإصلاح الأحوال، والتسديد في الأقوال والأفعال. (مرجع سابق، 2008، ص ص:٥٣٢،٥٣٥)

فكل دعوة لا تهتم بأمر التوحيد ومعية الخالق للخلق وعلمه بهم، وتربي أبناءها عليه ، وتسقيهم العقيدة الصحيحة ، فهي دعوة على غير هدي المرسلين ، فتقسيم بعض الناس أمور الدين إلى قشر ولباب قبيح ، وأقبح منه اعتبار أمور العقيدة والاهتمام بها من القشور التي تعامل عندهم بالإهمال والطرح.

فهذه إشارة سريعة إلى أهمية التوحيد والتربية العقدية، ومعرفة الرب الواحد الأحد هو صلب هذا العالم حسب ما عرّفنا الله عز وجل بنفسه، وما عرّفنا به رسول الله ﷺ، وعلم التوحيد هو أشرف العلوم وأجلّها، كيف لا وشرف العلم بشرف المعلوم. (فريد، 2009)

ثالثاً: دلالة التقوى:

القرآن يُغذّي في قلوب العباد مَلَكة المراقبة والتقوى، فمهما استشعر قلب العبد اطلاع الله ﷻعليه، فإنّ هذا من أقوى الدواعي له والتربية على التقوى والخوف من الله، فالتقوى واستشعار مَعِيّة الله ﷻ تؤكّد على مراقبة الله في نواحٍ كثيرة من سلوكيّات الإنسان المسلم؛

لأنّ تحقيق ذلك لا يكون إلا عبر قوله تعالى: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ **ق:١٨. (عوض، 2009، ص ص:٣٤-٣٥)**

والمعية معيتان معية سمع وبصر وقدرة وإحاطة وهي معية عز وجل للخلق كلهم التي تستوجب الخوف والحذر والتقوى، ومعية خاصة بأوليائه وهي معية التأييد والنصرة والتسديد، وتستوجب الأنس والرضا والثقة بوعد الله ونصره. كما قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً ۚ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ **التوبة:١٢٣ (فريد، (2009).**

وقوله تعالى: ﴿الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ ۚ فَمَنِ اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ **البقرة:١٩٤، يقول السعدي (2002، ص٢/٨٧): ولما كانت النفوس _في الغالب_ لا تقف على حدها إذا رخص لها في المعاقبة لطلبها التشفي، أمر تعالى بلزوم تقواه، التي هي الوقوف عند حدوده، وعدم تجاوزها أخبر تعالى أنه مع المتقين بعونه ونصره وتأييده وتوفيقه، ومن كان الله معه حصل له السعادة الأبدية، ومن لم يلزم التقوى تخلى عنه وليه وخذله، فوكله إلى نفسه، فصار هلاكه أقرب إليه من حبل الوريد.**

وقد عاب القرآن الكريم على الذين يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله تعالى، فقال تعالى: ﴿يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ الْقَوْلِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا﴾**النساء:١٠٨، ويقول سابق (1982، ص:٨٨) عن استشعار الخوف والخشية: يكون من معرفة جلال الله، واستشعار عظمته وكبريائه وهو خوف العارفين، وكلما كانت المعرفة أتمّ، كان الإنسان أشدّ لله خوفًا، وأعظم خشية، قال تعالى:** ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ **فاطر:٢٨،وقول الرسول ﷺ في الحديث: "إني لأخشاكم لله وأتقاكم له" رواه البخاري.**

وكان النبي ﷺ أشد الناس خشية لله تعالى، وكان إذا قام إلى الصلاة سُمِع لجوفه أزيز كأزيز المرجل من البكاء، وهذه كانت سيرة الأنبياء والصالحين، كأن خوف الله أُشرِب قلوبهم، واستوى عليهم الوجل حتى كأنهم عاينوا الحساب.

من خلال ما عرضنا تتّضح الحكمة من حث الإسلام على الخوف والخشية من الله تعالى وتربية النفس على تحقيق مدارج التقوى، لما لها من الأثر العظيم على طبيعة وسلوك

المسلم، مما يدفعه لكل خير، ويمنعه من كل إثم، وهذه هي التقوى التي يريدها الإسلام، وقد أمر الله عباده المؤمنين بالاستزادة منها، قال تعالى: ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ ۚ وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ﴾ **البقرة:١٩٧. (أبو غوري، 2010، ص ص:٣٨-٣٩)**

٢- الآثار التربويّة المتعلقة بالدّلالات العقديّة.

إنّ الإيمان والإقرار بالأسماء الحسنى والصفات العلا لله ﷻ كصفة المَعِيّة؛ من أعظم الفوائد والمهمّات في حياة الإنسان المسلم، قال ﷺ: "أفضل الإيمان أن تعلم أنَّ الله معك حيثما كنت" رواه الطبراني في الأوسط والكبير، فيه دلالة على أن أفضل الإيمان هو مقام الإحسان والمراقبة.

ولا شك أن هذه المَعِيّة إذا استحضرها العبد في كل أحواله، فيستحيي من الله ﷻأن يراه حيث نهاه، أو أن يفتقده حيث أمره، فتكون عونًا له على اجتناب ما حرّم الله، والمسارعة إلى فعل ما أمر به من الطاعات على وجه الكمال ظاهرًا وباطنًا، هذه فائدة الإيمان بالمَعِيّة العامة. (هرّاس، (د.ت))

وأما المَعِيّة الخاصة، فإن الإنسان إذا عرف أن هذا العمل يحظى أهله بمَعِيّة الله، حرص على أن يكون من أهله، فيحرص على أن يكون من أهل التقوى والإحسان والصبر والإيمان، ويُكثِر من الذكر والدعاء. (وأي فضيلة تداني فضيلة مَنْ كان الله معه! وأي مَزِيّة توازي مَزِيّة مَن هو من أهل هذه الطبقة الشريفة، والمنزلة السامية؟!). لمثل هذا فليعمل العاملون، وفي ذلك فليتنافس المتنافسون. (وهبي، 2007)

كما أن عقيدة التوحيد والإقرار بمَعِيّتِه تعالى لخلقه تنظّم حياة الإنسان النفسيّة، وتوحّد نوازعه وتفكيره وأهدافه، وتجعل كل عواطفه وعاداته قوى متضافرة ترمي كلّها إلى تحقيق هدف واحد هو الخضوع لله وحده، والشعور بألوهيّته ورحمته، وقدرته، وسائر صفاته.

ولتحقيق هذا الأثر التربوي العظيم يجب على المربّي أن يربط كل جوانب التربية بتوحيد الله ومعيّته سبحانه وتعالى التي أشرنا إليها. (النحلاوي، 2008، ص ص:٧٠-٧١)

ومن خلال ما تضمّنه هذا المبحث، يتبيّن الأثر التربوي الذي يعكسه الجانب العقدي على الإنسان سلوكاً وحياة فضلًا عن ما يجده في آخرته من الثواب والأجر العظيم لقاء الاعتقاد الصحيح الذي هو شرط لقبول العمل.

المبحث الثالث: الدّلالات التربويّة المستنبطة من آيات المَعِيّة الإلهيّة من الجانب التعبّدي وآثارها التربويّة على الفرد والمجتمع.

إنّ التأمّل في القرآن هو تحديق ناظر القلب إلى معانيه، وجمع الفكر على تدبّره، وهو المقصود بإنزاله، لا مجرد تلاوته بلا فهم ولا تدبر، قال تعالى: ﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ص:٢٩. **(ابن القيم، 1996، ص:٤٠٥)**

ومن جملة ما حثّنا القرآن على اتباعه وعدم الحيد عنه، عبادته وحده فهي الغاية من خلق الخلق، وقد خاطب الله نبيّه محمد ﷺ بما خاطب به الرسل من قبله، فقال سبحانه: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾**الأنبياء:٢٥، وقد زخرت الآيات القرآنية بذكر مقام العبودية في كثير من المواضع والمجالات، في مجال العلم والآداب والأخلاق.**

فمقام العبودية لله له أهمية كبيرة ينبغي أن يفهمها المسلم وألا يتغافل عنها، فهو أشرف المقامات حيث لا يدانيها مقام، بها شرف من شرف، وما خاطب الله أحباءه إلا بذلكم المقام، فقال في حقّ نبيّه محمد ﷺ: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا ۚ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾**الإسراء:١. (أبو غوري، 2010، ص:٢)**

فالعبادة تعني: طاعة الله، والخضوع له، والتزام ما شرعه من الدين، فهي ركن أساسي في بناء الشخصية المتكاملة التي يراها الله، وقيام للمجتمع الصالح، وهي غاية الحياة.

والإنسان يتذوّق هذا المعنى للعبادة ويمارسه، ويحصل على ثمراته النافعة من خلال نظام تربوي يحتوي على العلم والعمل سواء، فمن خلال العلم يحصل المتعلّم على تصوّر واضح سليم عن غاية وجوده، وغاية هذا النظام التربوي الذي يضعه على الصراط المستقيم الذي يتفق مع روح العبادة وحقيقتها. (الكيلاني، 1986، ص:١٠٤)

فمن أسباب الحصول على العبودية لله تعالى هو العلم، فالعبادة تنطلق عن علم ومعرفة، وكثير من الآيات قدّمت العلم على العبادة، قال تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ﴾ **محمد:١٩، فأمر بالعمل بعد العلم. (أبو غوري،2010)**

فكلّما ازدادت معرفة الإنسان بالشيء تغيّرت معاملته له، فالمعاملة على قدر المعرفة، وبالتالي يزداد حبّه وعبوديته له، ويمكننا التعرّف –في المبحث القادم– إلى ارتباط العبادات بالمَعِيّة الإلهيّة من خلال الأدلة المستنبطة من الكتاب الكريم والسنة المطهرة.

١- الدّلالات التربويّة المستنبطة من آيات المَعِيّة الإلهيّة المتعلقة بالعبادات.

إن لعبادة الله تعالى دلالات تربوية كثيرة، بوصفها منهجًا ربانيًّا يستقيم به الإنسان ويصلحه ليكون صالحًا فيحقق غاية التربية الإسلامية.

أمّا ما يتعلق بالمَعِيّة الإلهيّة واستنباطها من الآيات والأحاديث المرتبطة بالجانب التعبّدي، ما جاء في الآية الكريمة عندما ذكر المولى ﷻ الميثاق الذي فرضه على بني إسرائيل لينالوا مَعِيّته، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا ۖ وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ ۖ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنتُم بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ۚ فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾**المائدة:١٢، وهنا جاء ارتباط مَعِيّته بعبادته سبحانه، وأنها ثواب وجزاء لمن أتى بما أُمِر به وترك ما نهى عنه، فلقد أخذ الله العهد والميثاق على بني إسرائيل بواسطة نبيّهم موسى –عليه السلام– الذي بلغ الوحي إلى بني إسرائيل، وقال: إنّي معكم، ناصركم وحافظكم ومُعينكم، ومُطّلع عليكم.**

وعاهدهم الله بالعهد الإلهيّ الشامل ومضمونه: لئن أقمتم الصلاة، وأدّيتموها على الوجه الأكمل، وأعطيتم زكاة أموالكم التي تزكو بها نفوسكم وتطهر، وآمنتم برسلي ونصرتموهم وآزرتموهم على الحق ومنعتموهم من الأعداء، وأنفقتم في سبيله وابتغاء مرضاته، زيادة على ما أوجبه الله عليكم بالزكاة. (الزحيلي، 1998، ص ص:١٢٤-١٢٥)

ومن هنا تتبيّن وحدة دين الله ووحدة ميثاق الله مع جميع عباده، فهو الميثاق الذي يقرّر العقيدة الصحيحة، ويقرّر العبادة الصحيحة، ويقرّر أسس النظام الاجتماعي الصحيح.

فمَعِيّة الله تبارك وتعالى لم تكن جزافًا، إنما هي عقد فيه شرط وجزاء، شرطه إقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، والإيمان بالرسل، والإنفاق في سبيل الله، فأما الجزاء فكان: تكفير السيئات ودخول الجنة.

لذا يمكن أن نستنبط من هذه الآية بعض العبادات الموجِبة لمعية الله ﷻ وثوابه في الدنيا والآخرة، ومنها ما يأتي:

أولًا: إقامة الصلاة: لا مجرد أداء الصلاة، بل إقامتها على أصولها التي تجعل منها صلة حقيقيّة بين العبد والرب، وعنصرًا تهذيبيًّا وتربويًّا وفق المنهج الرباني القويم. (قطب، 1982، ص:٨٥٧)

فالصَّلَاة هي أول ما أوجبه الله تعالى على عباده من العبادات، هي أوّل ما يحاسب عليه العبد يوم القيامة، وبالتالي هي منهج متناسق لتربية الفرد والمجتمع، يصلبهما إلى قمّة السمو الأخلاقي، قال تعالى: ﴿اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ ۖ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ ۗ**﴾ العنكبوت:٤٥. (الأنصاري، 2004، ص:٤٥١)**

لذلك نجد الصلاة وغيرها من العبادات تمدّ الإنسان بالصبر الذي هو قوّة يتقوى القلب بها، وقد أرشدنا الحق تبارك وتعالى إلى الاستعانة بالصبر والصلاة على الأمور، قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ ۚ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ **البقرة:١٥٣، قال السعدي (٢٠٠٢) رحمه الله: وكذلك الصلاة التي هي ميزان الإيمان، وتنهى عن الفحشاء والمنكر، يستعان بها على كل أمر من الأمور.**

والمسلم إذا صلّى ربط قوته بقوة الله ومعيّته، سائلًا ربه ﷻ أن يُعينه ويمدَّه بما يعينه على طاعته، قائلًا في صلاته: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ **الفاتحة:٥، وهنا يقول الربّ ﷻ: "هذا بيني وبين عبدي، ولعبدي ما سأل" رواه مسلم. (الحازمي، 2000، ص:١٢٤)**

ثانيًا: إيتاء الزكاة: الزكاة ركن من أركان الإسلام، وأصل معناها الطهارة والنماء، فهي العبادة الماليّة الاجتماعيّة المهمة، والفريضة الثانية في الإسلام، وقد قرنها القرآن بالصلاة في عشرات المواضع، وذكرها بصورة لفظ الزكاة وبالصدقة، وأخرى بالإنفاق نظرًا لأهميتها ودورها في وحدة المجتمع المسلم وتطهيره من الفقر. (عوض، 2009، ص:٤٨)

وإيتاء الزكاة اعترافًا بنعمة الله في الرزق؛ وطاعة له في التصرّف في هذا المال وفق شرطه وتحقيقًا للتكافل الاجتماعي الذي على أساسه تقوم حياة المجتمع المؤمن، وإقامة أسس الحياة الاقتصادية على المنهج الذي يكفل ألا يكون المال دولة بين الأغنياء فقط.

والإنفاق في سبيل الله إنفاق عام، يقول الله ﷻ: إنه قرض لله، والله هو المالك وهو الواهب ولكنه يسمّي ما ينفقه الموهوب له _متى أنفقه لله_ قرضًا لله. (قطب، 1982، ص:٨٥٨)

فهو من صور الإحسان إلى الخلق سواء للأقارب أو الفقراء أو المساكين، أو الإحسان بأي نوع من أنواع البر، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ ۗ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ آل عمران: ١٣٤، فذكرت الآية صفة أهل الجنة الذين ينفقون في الشدّة والرخاء والمَنشط والمَكره والصحة والمرض وفي جميع الأحوال، والمعنى أنه لا يشغلهم أمر عن طاعة الله تعالى والإنفاق في مرضاته، وكانت الثمرة قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ فهذا من مقامات الإحسان. (جماعة العلماء، 1999، ص: ١٩٥)

وهنا نصل إلى أن المَعِيّة الإلهيّة والحصول عليها ليست بلا ثمن، أو بلا عمل، إذ إنّ من لوازمها الإيمان بالله ورسله، وإقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة والإنفاق في سبيل الله، وطاعة الله وتقواه وإخلاص النيّة، والقصد له وحده لا شريك له.

٢- الآثار التربويّة المتعلقة بالدّلالات التعبّديّة.

من أهم الآثار التربويّة –التي يمكن استنباطها– لمعية الله من جانب العبادات ما يأتي:

١- العبودية القلبيّة:

إنّ من آثار معاني المَعِيّة الإلهيّة التي يجدها العبد في عبوديته القلبية يقينه بالله والاعتماد عليه، وحفظ جوارحه وخطرات قلبه، وضبط هواجسه، ومع ذلك هو واسع الرجاء وحسن الظن بربّه، وهما أثران من آثار معرفته لعلمه وجودِه وكرمِه وإحسانه، وإنه عفوّ يحب العفو، وإنه واسع الرحمة، ففي الحديث القدسي: "أنا عند ظنّ عبدي بي، وأنا معه حين يذكُرُني" رواه البخاري ومسلم.

وهذه الآثار تنقله إلى عبودية (المحبة) فيحب الله حق المحبة، ويُؤثر محبّته على محبة كل محبوب، ويجد فيها الراحة كلها "أرِحنا بها يا بلال". (الجامي، 2002)

٢- المجاهَدة وقوة الإرادة:

إنّ للعبادات تأثيرًا قويًّا على تكوين الإرادة الجازمة التي تجعله يقف عند حدود الله تعالى، ويصمد مع الحق أمام الباطل، ومع الفضيلة أمام الرذيلة، لأنها تذكّره بالله تعالى وبمسؤوليته أمامه، وبلذّة الحياة الآخرة، وبفناء لذّة الدنيا الفانية، وأنه محاسب أمام الله تعالى، وأنه ما خُلِق إلا لتحقيق العبودية لله تعالى.

٣- تربية الفضائل والوقاية من الانحرافات:

تربّي المسلم على أفضل الأخلاق وأحسنها، وتُبعده عن الانحرافات السلوكيّة، حيث يُلاحظ أن أبعد الناس عن مُنكرات الأخلاق أكثرهم عبادة لله تعالى، وفي هذا بيان أن العبادات الشرعية لها أثر بالغ وعظيم على سلوك الإنسان.

فكما أنها تُربي في النفس الإنسانية الفضائل الخُلُقية، فكذلك هي وقاية من الانحرافات الخلقيّة، لما تبثّه في القلب من خوف الله تعالى، وطلب رضاه، ورجاء رحمته، ولأن فيها تذكيرًا مستمرًّا للإنسان بربه ﷻ من خلال ربطه بالعبادات. (الحازمي، 2000، ص ص:١١٩، ١٣٢)

٤- اليقظة الدائمة:

كلّما قويت معرفة العبد بمَعِيّة خالقه وتمكّن نور الإيمان من قلبه ازدادت حالة اليقظة والانتباه لدينا. هذه الحالة هي التي ستجعل معاملتنا مع الله لا مع غيره، حالة الانتباه هي التي ستجعلنا نزن كل شيء بميزان الشرع، فيزداد الورع والخوف من الوقوع في دائرة الشبهات، ستدفعنا هذه الحالة إلى القيام بواجبات الدعوة خير قيام، وستُصَغِّر من حجم الدنيا في أعيننا، وستقلل طمعنا فيما في أيدي الناس.

ومع احتمالية وقوعنا في زلّات وغفلات نتيجة ضعفنا البشري، فإن هذه الحالة ستدفعنا للنهوض من الكبوة وسرعة التوبة وتجديد العهد مع الله ﴿نِعْمَ الْعَبْدُ ۖ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴾ ص:٣٠. (الهلالي، 2009، ص:٣٥)

وبالتالي يتبيّن من خلال هذا المبحث أن العبادات الشرعية وارتباطها بمعيّة الرب ﷻ تسمو بأخلاق الإنسان المسلم وأعماله بما تجعله يتميّز عن غيره من البشر، فهو يتميز بعبوديته القلبية، وعبودية المجاهدة وقوة الإرادة والعزيمة في فعل الخيرات واجتناب المحرّمات، وعبودية التوبة والإنابة، وغير ذلك مما تربيه المواظبة على أداء العبادات والشرائع ويستقيم بها السلوك الإنساني.

المبحث الرابع: الدّلالات التربويّة المستنبَطة من آيات المَعِيّة الإلهيّة من الجانب الأخلاقي وآثارها التربويّة على الفرد والمجتمع.

لقد حظيت الأخلاق في الإسلام بعناية فائقة، ووُضعت لها الضوابط التي إذا تمسّك بها الأفراد والجماعات فازوا ونجوا من التيارات الهدّامة، وتجنّبوا ويلات الدمار الخُلُقي والصراع

الاجتماعي الذي تعاني منه بعض المجتمعات، فهي عنوان الشعوب ورقيّها، وأساس الحضارة ووسيلة للمعاملة بين الناس.

وتُعرّف الأخلاق بتعريفات عديدة، تؤكد معظمها أن الأخلاق فطريّة ومُكتَسبة، ومحمودة ومذمومة، وهي أوصاف الإنسان التي يتعامل بها مع الغير، وأصبحت من سجاياه. (الحازمي، 2000، ص ص:١٣٥-١٣٦)

فالأخلاق الإسلامية هي الآداب التي حثَّ عليها الإسلام، وذُكِرت في القرآن الكريم والسُّنّة النبوية، واعظم قدوة هو النبي محمد ﷺ الذي هو أكمل البشر خُلُقًا، لقول الله تبارك وتعالى عنه: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ القلم:٤، وقال ﷺ "إنما بُعثت لأتمم مكارم الأخلاق" رواه البخاري. (عوض، 2009)

إذًا لو تأملنا مفهوم الأخلاق في الاسلام، لوجدنا أنها موصولة بالإيمان والعقيدة، فهي تعدّ أحد أركانه، فلا إيمان لمن لا أمانة له، ولا دين لمن لا عهد له، وبمعرفة الله وأنه المستحِق وحده للعبادة، فالعبادة مفهوم واسع لكل ما يحبّه الله ويرضاه، فلا تقتصر على الصلاة والصيام والحجّ وغيرها من الطاعات، وإنما الصبر والحلم والرضا بقضائه وقدره، والصدق وغيرها من فضائل الأخلاق داخلة في إطار الدين وركنًا أساسيًا من أركان العبادة. (عبد العظيم، 2004)

كذلك موصولة بمعاني الأسماء والصفات، فبفهم العبد لتلك المعاني فإنه يزداد حبّه وتعلّقه بها، فيتّصف بتلك الصفات التي يحبّها الله، مثل: الرحمة والرفق والكرم والعفو والعدل، وينتهي عن الصفات التي يكرهها الله تعالى، كالكِبر والعظمة والبخل وغيرها، وهو سبحانه يكون مع عباده بحسب اتّصافهم بما يحب، وهذه مَعِيّةٌ خاصة.

ومن هنا نجد أنّ النصوص من كتاب الله ﷻ، قد تضافرت على الأمر بالتخلّق بالأخلاق الحسنة، ونهت عن الأخلاق المذمومة، فالتربية القرآنيّة هي أعلى تربية وأرقاها، وقد ظهرت بركة هذه التربية في الجيل الأول، حيث نزل عليه القرآن منجّمًا، يغرس فيه أصول العقائد ويعمّق فيه المعاني الإيمانيّة الشريفة، فيرقى به القرآن إلى أعلى درجات اليقين والصدق والإخلاص والبذل والتضحية والثبات، وكان أمام الصحابة ﷺ التطبيق العملي للقرآن، وهو النبي ﷺ، فقد كان قرآنًا يمشي على الأرض. (فريد، 2009، ص:١٨٩)

الدّلالات التربويّة المستنبطة من آيات المَعِيّة الإلهيّة المتعلّقة بالأخلاق:

لقد ذُكرَت عدة أخلاق وسجايا فاضلة في القرآن الكريم، ارتبطت بصفة المَعِيّة الإلهيّة، ومنها ما يأتي:

أولاً: الصبر:

قال ابن القيم الجوزية (١٩٩٦، ص:٢٩٤) رحمه الله: "حُسن الخلق يقوم على أربعة أركان، لا يتصوّر قيام سياقه إلا عليها: الصبر، والعفة، والشَّجاعة، والعدل".

فالصبر يحمله على الاحتمال، وكظم الغيظ، وكف الأذى، والحلم والأناة، والرفق وعدم الطيش والعجلة. وقال: "وهو على ثلاثة أنواع: صبر بالله، وصبر لله، وصبر مع الله".

فالأول: صبر الاستعانة به، ورؤيته أنه هو المصبّر، وأنَّ صبر العبد بربه لا بنفسه، كما قال تعالى: ﴿وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾ النحل:١٢٧.

الثاني: الصبر لله، وهو أن يكون الباعث له على الصبر محبة الله، وإرادة وجهه، والتقرّب إليه.

الثالث: الصبر مع الله، وهو دوران العبد مع مراد الله الديني منه، ومع أحكامه الدينيّة، صابرًا نفسه معها، سائرًا بسيرها، أينما توجهت ركائبها". (ابن القيم، 1996، ص:١٥٦)

ولو ذهبنا نبحث في لغة القرآن ونصوصه وما يتعلق منها بالصبر، لتعددت النُّقول وتكرّرت المعاني، ولكنها في كل مرة تعطي ملمَحًا يدل على ما للصبر من قيمة دينيّة وخلقيّة، وما ينعكس فيه من صور العطاء الإنساني، ولكن لابد من الاستشهاد بآية ضربت المثل الأعلى للسلوك البشري، وكيف يحوّل الصبر الإنسان ويبدله من العداوة والمناوأة إلى الحب والصداقة، عندما يقول ﷻ: ﴿وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ فصلت:٣٥. (تنباك، 2000، ص:١٧)

كما أشار إلى معيّة الله تعالى للصابرين، وكفى بذلك دافعًا على الصبر والمصابرة، فقد جاءت في عدة مواضع في آيات الذّكر الحكيم، فتارة كانت بمعنى معية النصر والتأييد:

قال تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ وَاصْبِرُوا ۚ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾**الأنفال:٤٦.**

فحقيقة الصبر هو حبس النفس على ما يقتضيه الشرع والعقل، وهو بهذا المعنى داخل في كل مجالات الحياة، فالمرء متقلب بين مِنْحة ومِحْنة، فيصبر على النعم بشكرها، والعمل

فيها بما يرضي واهبَها، ويصبر على البلاء بما يُلْهِم الاحتساب والرضا عن الله وقضائه. (الماجد، 2012، ص ص:٨٢-٨٣)

وتارةً أخرى جاءت بمعنى الهداية والإعانة:

فنصوص الكتاب والسنة الدالة على فضل الصبر ومنزلة أهله كثيرة، يكفي في ذلك أن الله تعالى قرنه بأعلى مراتب الدين، وأجلّ مقاماته، حيث قرنه تعالى بالصلاة، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ ۚ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ البقرة:١٥٣، وقرنه بالتقوى، وقرنه باليقين، وهذا يدلّ على فضله، ويشير إلى أن تلك المنازل العالية لا تُنال بغير الصبر الجميل، مما يجعل أهل الصبر بأعلى المنازل عند الله تعالى، ليستحقّوا بها معيّته لهم بما تتضمّنه من توفيق وإعانة. (مرجع سابق، 2012)

ومن هنا نجد أن الصبر فضيلة تربّي في النفس ملكات الخير، فهو خُلُق فاضلٌ يمتنع به الإنسان عن فعل ما لا يحسن ولا يجمل، وهو قوة من النفس التي يراد بها قوام أمرها، وصلاح شأنها، وهو أن يحسن عمله، ويحسن استقبال البلاء والشدائد والمصائب، ويحسن معالجتها والتصرّف فيها، والتغلّب عليها والتخلّص منها ما استطاع إلى ذلك سبيلًا. (تنباك، 2000، ص:٩)

ثانياً: الإحسان:

الإحسان خلق عظيم سلوك طيّب، به يرتقي العبد إلى درجة الإيمان والتقوى، وقد أمر الله ﷻ وحثّ على الإحسان والعمل به، فهو دلالة على محبة الله لهم، حيث قال: ﴿وَأَحْسِنُوا ۛ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ البقرة:١٩٥. (عوض، 2009)

"والإحسان نوعان:

١- إحسان في عبادة الخالق وأداء الفرائض: وهو الجدُّ في القيام بحقوق الله على وجه النُّصح، والتَّكميل لها.

٢- وإحسانٌ في حقوق الخلق: أي في مجال التعامل مع الناس وبذل جميع المنافع من أي نوعٍ كان، ولأي مخلوق يكون، ولكنّه يتفاوت بتفاوت المحْسَن إليهم، وحقِّهم ومقامهم، وبحسب الإحسان وعظم موقعه وعظيم نفعه، وبحسب إيمان المحْسِن وإخلاصه، والسبب الدّاعي له إلى ذلك". (السعدي، 2002، ص ص:٢٠٤،٢٠٦)

قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ **البقرة:٨٣، أي: أحسنوا بالوالدين إحسانًا، وهذا يعمُّ كلَّ إحسان قولي وفعلي ممَّا هو إحسان إليهم، وفيه النَّهي عن الإساءة إلى الوالدين، لأن الواجب الإحسان، والأمر بالشَّيء نهيٌ عن ضدَّه.**

ثمَّ أمر بالإحسان إلى الناس عمومًا، فقال: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾**، ومن القول الحَسَن: أمرهم بالمعروف، ونهيهم عن المنكر، وتعليمهم العِلم، وبذل السَّلام، والبشاشة وغير ذلك من كلِّ كلام طيِّب.**

ولمَّا كان الإنسان لا يَسَع النّاس بماله، أُمِر بأمرٍ يقدر به على الإحسان إلى كلِّ مخلوق، وهو الإحسان بالقول، فيكون في ضمن ذلك النَّهي عن الكلام القبيح للنَّاس حتى الكفار. (السعدي، 2002، ص:٥٧)

فدرجة الإحسان لها قيمة دلاليّة في تربية النفس على الطاعة والتقوى، ولقد ربط الله تعالى الإحسان بالتقوى في آن واحد، وأنه معهم خصوصًا الذين جمعوا هاتين الصفتين، بقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾ **النحل:١٢٨. (عوض، 2009)**

لقد علَّق الله ﷻ معِيّته هنا بوصفين: وصف التقوى ووصف الإحسان، وقد تقدّم لنا بيان معنى التقوى، وأما الإحسان فإن أفضل ما ورد في تعريفه ما ثبت عن النبي ﷺ في حديث جبريل، وفيه قال: "الإحسان: أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك" رواه البخاري ومسلم.

وقد جاءت معية الله للمحسنين في موقع آخر في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ **العنكبوت:٦٩، وهنا كانت بعدة معانٍ، وهي: النصر والحفظ والإعانة والهداية، فوعد المجاهدين بالهداية، وأكّد ذلك بمعيّتِه للمحسنين، لأن حقيقة الإحسان تحقيق الإخلاص لله تعالى، فلا يرى العبد غير الله تعالى في نيّته وعمله. (الماجد، 2012)**

ثالثاً: الإخلاص:

الإخلاص والنيّة الطيّبة من الصفات التي تبلغ بالإنسان الذروة من السمو الأخلاقي والرفعة، وتنزله منازل الأبرار، وهو دليل كمال الإيمان، ويعني أن يقصد الإنسان –بقوله وعمله وجهاده– وجه الله وابتغاء مرضاته، ليرتفع المرء عن نقائص الأعمال، ورذائل

الأخلاق، ويتّصل مباشرة بالله، عن عمر رضي الله عنه، قال: سمعت رسول الله ﷺ، يقول: "إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى..."، رواه البخاري ومسلم. (سابق، 1982)

ولو تأمّلنا كل آيات المَعِيّة الإلهيّة لوجدنا أنها تشير إلى هذا الخُلُق العظيم وتحثّ عليه بشكل أو بآخر، وتشير إلى إخلاص العبادة له، وإصلاح النيّة والقصد له وحده لابتغاء مرضاته دون النظر للخلق أو لأمرٍ دُنيوي.

فالإخلاص مطلوب في كل الأعمال والأقوال، فهو مطلوب في التوحيد والإيمان والتقوى، وفي العبادات كالصلاة والصيام والقيام والصدق والصبر والتوكّل على الله، وغيرها.

كما أنه مطلوب في تربية الأولاد، وفي التعامل مع الزّوجات، وفي السياسة والاقتصاد والأخلاق، سواء كان الإنسان في المسجد أو في بيته أو في السوق؛ إذ بالإخلاص تنفرج الشدائد وتتحقّق الطمأنينة والسعادة، وتُقوّى العزيمة ومعاني الإيمان في النفس، وينصر الله به الأمة، وهو أساس قبول الدعاء والأعمال والأقوال، وبه ترتفع منزلة الإنسان في الدنيا والآخرة. (عبد العظيم، 2004، ص:١٠٤)

الآثار التربويّة المتعلقة بالدّلالات الأخلاقيّة:

أما أهم الآثار التربويّة للصفات التي خصّصنا ذكرها باستنباطها من آيات المَعِيّة الإلهيّة:

أولًا الصبر: من آثار مَعِيّة الله تعالى للصابرين، ما يورثه ذلك من ثباتهم عند حلول المصائب، ونزول المكاره، فيسهل عليهم كل عظيم، وزالت عنهم كل صعوبة، والنصر على الأعداء، وهذه معيّة خاصّة فلو لم يكن للصابرين فضيلة إلا أنّهم فازوا بهذه المَعِيّة من الله، لكفى بها فضلًا وشرفًا.

ثانيًا الإحسان: فكما أسلفنا أنّ للمحسنين مَعِيّة خاصة منه تعالى، يكون من آثارها هدايتهم وإعانتهم وتوفيقهم للخير والإيمان والسعادة. (الماجد، 2012، ص ص:١٢٤،٩٢)

وللإحسان ثمرة عظيمة تتجلّى في تماسك بنيان المجتمع، وحمايته من الخراب والتّهلكة ووقايته من الآفات الاجتماعية، كذلك هو وسيلة المجتمع للرُّقي والتّقدم والألفة، لأنه يؤدّي إلى توثيق الرّوابط وتوفير التّعاون. (السقّاف، (د.ت)، ص:٨٢)

ثالثًا الإخلاص: إن تحقيق المسلم لمعنى الإخلاص يقوي في النفس الوازع الديني والرقابة الذاتيّة، فعندما تكون غايته متمثلة في طاعة الله تعالى والامتثال لأمره والطمع في مرضاته،

فهذا فيه بُعد تربوي ذاتي يتمثل في أهمية تربية النفس البشرية على إخلاص النيّة وصلاح الحال في مختلف الأقوال والأعمال.

وإن تعويد المربّين على تمثيل صفة الإخلاص للناشئة حتى يلتزموا بها سلوكًا وعملًا وجماعة، فتيقِظ لهم ضمير الحرص والتقوى والإخاء، وهذا بُعد تربوي اجتماعي يعين على النهوض والرقي بالمجتمع الإسلامي. (عوض، 2009، ص:٥٣)

إذًا في هذا المبحث تبيّن لنا ارتباط الجانب العَقَدي وجانب العبادة بالأخلاق والخصال الحميدة، وتبيّن أنّ ارتباط الأخلاق بالعقيدة وثيق جدًّا، لذا فكثيرًا ما يربط الله ﷻ بين الإيمان والعمل الصالح، الذي تعدُّ الأخلاق الحسنة -كما أسلفنا- أحد أركانه، أما عن ارتباط الأخلاق بالشريعة، فإن الشريعة منها عبادات ومنها معاملات، والعبادات تثمر الأخلاق الحسنة، إذا ما أقامها المسلم على الوجه الأكمل، لذا قال تعالى:﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾ العنكبوت:٤٥، وأما صِلَة الأخلاق بالمعاملات، فإنَّ المعاملات كلُّها قائمة على الأخلاق الحسنة في أقوال المسلم وأفعاله، والمتأمّل لتعاليم الإسلام يرى هذا واضحًا جليًّا. (السقّاف، (د.ت))

نتائج البحث:

من خلال هذا البحث يمكن التوصل إلى النتائج الآتية:

١- القرآن هو كلام الله، وقد تجلى الله فيه لعباده بصفاته، فتجلى في جلباب المعية والعظمة والجلال والكمال، وإحاطة علمه بكل شيء، ولا يخفى عليه شيء من الكائنات في الأرض ولا في السماء.

٢- إنّ القرآن منهج للتربية والتوجيه لبناء الأمة الراشدة، التي تقوم بمَهمة الخلافة في الأرض، ويربّي النفس البشرية من جميع جوانبها، ويرسّخ العقيدة الإسلامية الصحيحة في نفوس الناشئة.

٣- إنّ بالتّدبر في كتاب الله ﷻ والتّأمل فِي آياته يتضح تميز المنهج الرباني بمفاهيم ربّانية تربوية ليس لها مثيلا فِي المناهج التربوية البشرية تستهدف خير الْإِنسان فِي الدنيا وَالآخرة جمِيعًا.

٤- إن مفهوم المَعِيّة الإلهيّة يتضمن كل معاني الحفظ والإحاطة والنصر والتأييد لملائكته، أو لصفوة خلقه، ولكل مَن حرص على الوصول لأسبابها لينال وينهل من ثمراتها في الدنيا والآخرة.

٥- والعلم بمعِيّتِه سبحانه سواء العامة أو الخاصة تربّي المهابة في نفوس الناس من هذا الإله العظيم، والإسراع بالطاعة والإقلاع عن المعصية، كما أنها تربّي الثقة التامّة بربّه، فلا يغلبه أحد، فهو يتّصل بمصدر القوة، وهي قوة الله الغالب على أمره، وبالتالي الشعور بالرضا والهدوء النفسي، والقدرة على مواجهة أصعب المواقف.

٦- لمفهوم المَعِيّة الإلهيّة دلالات تربوية في المجال العقدي، تحثّ على الإيمان العميق بمَعِيّة الله فهي محكمة لا محل للتشابه فيها على الإطلاق، والتأدّب بدلالاتها خير معين على الطريق والهداية، ونيل رضا الله ﷻ.

٧- إنّ تربية النفس على استشعار مراقبة الله له وخشيته والتذكير دائمًا بأن الله معنا، ومطّلع على كل أحوالنا له أثر تربوي يؤثر في السلوك الإنساني، ويملأ النفس بالإيمان واليقين والشعور بالمسؤولية أمام الله.

٨- الدّلالات التربويّة لمفهوم المَعِيّة الإلهيّة في مجال العبادات تجمع بين العلم بالله ومعيته لخلقه، وبين شتى أنواع العبادات القلبيّة وعبادات الجوارح.

٩- إن من آثار معرفة معية الله والتعبد بمقتضاها هو التوكل على الله وحسن الظن به، والإرادة الجازمة التي تجعل المسلم يقف عند حدود الله تعالى، ويصمد مع الحق أمام الباطل، وتجعل معاملته مع الله لا مع غيره، وتربيه على المواظبة على أداء العبادات والشرائع التي يستقيم بها سلوكه وعمله.

١٠- لمفهوم المَعِيّة الإلهيّة دلالات تربويّة في المجال الأخلاقي، تُربي في النفس الإنسانيّة الفضائل الخُلُقية، فكذلك هي وقاية من الانحرافات الخلقية، لما تبثه في القلب من خوف الله تعالى وطلب رضاه ورجاء رحمته.

١١- لمفهوم المَعِيّة الإلهيّة آثار تربويّة في جميع الجوانب العقديّة والتعبديّة والأخلاقيّة، تؤثر في سلوك الفرد والمجتمع وعاداته وقيمه.

التوصيات:

في ضوء النتائج السابقة، توصي الباحثة بمجموعة من التوصيات، وهي على النحو الآتي:

١- حثّ المربّين على تعريف الناشئ بمَعِيّة ربّه لهو إحاطة علمه به، فيسهل عليه تحديد أهدافه في الحياة مستمدًا ذلك من غاية خلقه، وغاية التربية الإسلاميّة.

٢- وجوب تربية العقل على إدراك المَعِيّة الإلهيّة من جميع الجوانب وإدراك مقاصد الشريعة الإسلامية، حتى يكون له دور فيضبط الشهوات والانفعالات والعواطف والتربية بموجبها.

٣- ينبغي على الأبوين وكذلك العاملين في مجال التعليم، أن يغرسوا في قلوب أبنائهم وتلاميذهم، مراقبة الله ﷻ في أعمالهم وسائر أحوالهم، لتصبح هذه المراقبة الإلهيّة سلوكًا لازمًا لهم في كل تصرفاتهم، فيتعلم الإخلاص لله ﷻ في سائر أعماله وعباداته، والإحسان لنفسه وللآخرين، والصبر على أقدار الله.

٤- على المربّي بواسطة القرآن أن يربّي سلوك الناشئ بتعاليم القرآن ومعانيه، ويربي عقله بالاستدلال على ما استدلّ عليه القرآن، وبتأمّل ما يدل على عظمة الله وعلمه ومعيته لمن اصطفاهم وحفظه لهم.

٥- كما يلزم كل مسؤول عن تربية الناشئة أن يحسن استغلال الفرص لتزويدهم بالبراهين التي تدل على الله وعلى معِيّته لخلقه، وبالتوجيهات التي تثبت الإيمان، وباللفتات التي تقوي جانب العقيدة، فهذا يجعل منهم أفرادًا صالحين خادمين لدينهم ووطنهم.

٦- مراعاة الطرق والأساليب المستخدمة في غرس معاني ودلالات صفة المَعِيّة الإلهيّة في نفوس النّاس سواءً كانوا كبارًا أو صغارًا، أفرادًا او جماعات.

٧- الواجب على الدعاة إلى الله والذين يسعون لعزّ الإسلام والمسلمين الاهتمام بمعرفة دلالات صفات الله العليا، وأخص بالذّكر صفة المَعِيّة، ونشر معانيها ودلالاتها للناس، وتدبّر الآيات والأحاديث الدالّة عليها، لتصحيح عقيدتهم وعبادتهم وأخلاقهم.

المقترحات

تقترح الباحثة عدة مقترحات لتكون بداية لدراسات أخرى تعم بالفائدة والنفع على الفرد، وكذلك المجتمع المسلم منها:

١- إجراء دراسة تستكمل موضوع الدلالات التربوية للمعية الإلهية في مجالات أخرى وجوانب لم تتطرق لها الدراسة الحالية مثل الجانب الجهادي والجانب الوجداني والجانب العملي.

٢- إجراء دراسة تطبيقية لتبيان الأثر المباشر وغير المباشر حول الدلالات التربوية للمعية الإلهية على الفرد والمجتمع في الدول والمجتمعات المسلمة.

٣- إجراء دراسات تركز على استنباط دلالات تربوية لصفات الله سبحانه وتعالى، كما وردت في القرآن الكريم، وفي السنة النبوية الشريفة، ومدى انعكاسات هذه الصفات الربوبية على قيم المجتمع المسلم، وسلوكيات أفراده.

قائمة المصادر والمراجع

المراجع العربية:

١- القرآن الكريم.

٢- ابن العثيمين، محمد بن صالح (2001م). القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى. ط٣، المدينة المنوّرة: الجامعة الإسلامية.

٣- ابن القيم، محمد بي أبي بكر بن أيوب (1996م). مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين. ط٣، بيروت: دار الكتاب العربي.

٤- ابن القيم، محمد بن أبي بكر (2007م)، شرح القصيدة النونيّة. جدة: مجمع الفقه الإسلامي.

٥- ابن القيم، محمد بي أبي بكر بن أيوب (2007م). الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية. مكة المكرّمة: دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع.

٦- أبو غوري، عماد محمد (2010م). "الدّلالات التربويّة لمفهوم العبودية في القرآن الكريم". رسالة (ماجستير) منشورة، غزة: الجامعة الإسلامية.

٧- أبو لاوي، أمين (1999م). أصول التربية الإسلامية. بيروت: مؤسسة عبد الحفيظ البساط.

٨- أشقر، عمر سليمان (١٩٩٢م). الأسماء والصفات في معتقد أهل السنة والجماعة. عمان: دار النفائس.

٩- الأنصاري، عبد الرحمن عبد المحسن (2004م). معالم أصول التربية الإسلاميّة من خلال وصايا لقمان لابنه. المدينة المنورة: مجلة الجامعة الإسلامية.

١٠- الباز، أنور (2007م). التفسير التربوي للقرآن الكريم. القاهرة: دار النشر للجامعات.

١١- التميمي، محمد بن خليفة (2002م). الآثار المرويّة في صفة المَعِيّة. الرياض: أضواء السلف.

١٢- التميمي، محمد خليفة (2002م). الصفات الإلهية.. تعريفها، أقسامها. الرياض: دار أصول السلف).

١٣- تنباك، مرزوق صنيتان (2000م). موسوعة القيم ومكارم الأخلاق العربية والإسلامية- الصبر. الرياض: دار رواح.

١٤- الجامي، محمد أمان (2002م)، الصفات الإلهيّة في الكتاب والسنة النبويّة في ضوء الإثبات والتنزيه. ط٣، عجمان: مكتبة الفرقان.

١٥- الجرجاني، علي محمد (1983م). التعريفات. بيروت: دار الكتب العلميّة.
١٦- جماعة من العلماء، بإشراف صفيّ الرحمن المباركفوري (1999م). المصباح المنير في تهذيب تفسير ابن كثير. الرياض: دار السلام للنشر والتوزيع.
١٧- الحازمي، خالد حامد (2000م). أصول التربية الإسلاميّة. المدينة المنورة: دار عالم الكتب.
١٨- الزحيلي، وهبة (1998م). التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج. دمشق: دار الفكر.
١٩- سابق، سيد (1982م). إسلامنا. ط٢، بيروت: دار الكتاب العربي.
٢٠- السّعدي، عبد الرحمن ناصر (2002م). بهجة قلوب الأبرار وقرة عيون الأخيار في شرح جوامع الأخبار. الرياض: وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد.
٢١- السّعدي، عبد الرحمن بن ناصر (2002م). تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ط٢، الرياض: دار السلام للنشر والتوزيع.
٢٢- السَّقَّاف، علوي بن عبد القادر (2006م). صفات الله عزّ وجل الواردة في الكتاب والسنة، ط٣، الظهران: الدرر السنيّة.
٢٣- عبد الرحيم، قاسم حسين (2006م). "مَعِيّة الله بالتأييد في القرآن الكريم". رسالة (دكتوراة) منشورة، جامعة أم درمان الإسلاميّة.
٢٤- عبد العظيم، سعيد (2004م). خلق المسلم. الإسكندرية: دار الإيمان.
٢٥- عطار، ليلى عبد الرشيد (د.ت). آراء ابن الجوزي التربويّة. ميرلاند: منشورات أمانة للنشر.
٢٦- علوان، عبد الله ناصح (د.ت). تربية الأولاد في الإسلام. الرياض: دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع.
٢٧- عوض، عبد الله يوسف (2009م). "الدّلالات التربويّة لمفهوم التقوى في القرآن الكريم". رسالة (ماجستير) منشورة، غزة: الجامعة الإسلامية.
٢٨- عويد، محمد رشيد (1997م). "معية الله عز وجل". مجلة الوعي الإسلامي، س32 (ع379)، 57-54.
٢٩- الغامدي، علي خميس (1996م). "الدّلالات التربويّة في بعض أسماء الله الحسنى وصفاته العليا". رسالة (ماجستير) غير منشورة، مكة المكرّمة: جامعة أم القرى.

٣٠- الغامدي، نبيل أحمد(2009م). "الدّلالات التربويّة المستنبطة من آيات الصبر في القرآن الكريم وتطبيقاتها في الأسرة والمدرسة". رسالة (ماجستير) منشورة، مكة المكرّمة: جامعة أم القرى.

٣١- فريد، أحمد (2009م). التربية على منهج أهل السنة والجماعة. المنصورة: مكتبة الصحافة للطبع والنشر والتوزيع.

٣٢- قاسم، ماجدة خليفة (2016م). "معِيّة الله تعالى في القرآن الكريم". مجلة جامعة طيبة للآداب والعلوم الإنسانيّة، مج5 (ع11)، 53-113.

٣٣- القحطاني، سعيد علي (2008م). عقيدة المسلم في ضوء الكتاب والسّنّة. (الرياض).

٣٤- قطب، سيد (1982م). في ظلال القرآن. ط١٠، بيروت: دار الشروق.

٣٥- الكيلاني، ماجد عرسان (1986م). الفكر التربوي عند ابن تيمية. ط٢، المدينة المنورة: دار التراث.

٣٦- الماجد، ناصر محمد (2012م). "المعِيّة الإلهيّة في ضوء القرآن الكريم.. معانيها ودلالاتها". مجلة تبيان للدراسات القرآنية، (ع10)، 162-13.

٣٧- محمد، عثمان النور (2011م). "الدلالات التربوية لأسماء الله الحسنى في مقررات التربية الإسلامية في التعليم الأساس بالسودان دراسة تأصيلية في ضوء القرآن والسنة". رسالة (ماجستير) منشورة، جامعة أم درمان الإسلامية.

٣٨- مصطفى، إبراهيم وآخرون (د.ت). المعجم الوسيط. دار الدعوة.

٣٩- النحلاوي، عبد الرحمن (2008م). أصول التربية الإسلاميّة وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع. دمشق: دار الفكر.

٤٠- هرّاس، محمد خليل (د.ت). شرح العقيدة الواسطيّة. دار الهجرة للنشر والتوزيع.

٤١- الهلالي، مجدي (2009م). التوازن التربوي وأهميته لكل مسلم. القاهرة: دار السراج.

٤٢- وهبي، عبد الهادي حسن (2007م). الأسماء الحسنى والصفات العلى. الجبيل: دار الدليل الأثريّة.

المراجع الإلكترونية:

٤٣- السَّقّاف، علوي عبد القادر (د.ت). موسوعة الأخلاق. موقع الدّرر السَّنِيَّة، تاريخ الدخول ١٥/٤/٢٠١٨، www.dorar.net.